الإمام يحيى بن سلام وأثره في التفسير

الدكتور هارون الرشيد*

لما استهل القرن الثاني وبدأت العلوم الإسلامية في دور التدوين، إنبرى أحد الأئمة من رجال الحديث وهو عبد الملك بن جريج المتوفي سنة ١٤٩هـ [١] إلي جمع الأخبار الخاصة بالتفسير في كتاب، فكان أول من ألف في التفسير، وهو علي ثقته المشهود بها عند ابن سعد ومن بعده من علماء الرجال[٢]، أورد الأقوال في تفسير القرآن علي علاتها، فعقب كل خبر بما قيل فيه من تجريح أو تعديل، فدخل علم التفسير بذلك إلي حيز التدوين الكتابي علي ما كان عليه من اختلاط بين الصحيح والسقيم علي قابلية كل منهما التمييز عن الآخر بما سبق من النقود التي علق بها رجال النقد من أئمة الحديث علي الأخبار الخاصة بالتفسير منذ القرن الأول[٣]. فاحتاج هذا الوضع إلي دراسة نقدية لتلك النصوص وتخريج جديد لها بأسانيدها مع الإلمام بالنواحي الثلاث التي أصبحت أخبار التفسير راجعة إليها: وهي الأثرية واللغوية والعلمية بحيث أصبح لكل ناحية من تلك النواحي الثلاث أثر في نقد الناحية الأخري وتعديل ميلها، وتلك هي الخطة التي انتهجها كتب التفسير ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني.

كانت أول التفاسير ظهورا في هذه الفترة بعد كتاب عبد الملك بن جريج التفاسير المتوخية طريقة جمع الأقوال بحسب ما انتهي إلي مؤلفيها من طرق الإسناد. وقد اقتضي ذلك لا محالة اشتمال الكتاب الواحد في الآية الواحدة علي أخبار متخالفة وآثار متفاوتة الدرجات من حيث مظنة الثبوت لقوة الأسانيد وضعفها. فتطلب ذلك رجوعا إلي تلك الأخبار بالنقد والتمحيص ليوضع منها ما يوضع علي بساط الطرح والتزييف ويثبت منها ما يثبت علي مدرجة الاعتماد والتحصيل ، لا سيما وقد انتهي الكثير منها إلي المؤلفين متبعا بتعاليق نقدية اتصلت بها وصارت ذيولا لها منذ أن كانت متناقلة بالطريق الشفهي قبل أن تدخل حيز التدوين.

---

* الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

فأصبح موقف المؤلفين حيال تلك الأخبار مثل موقف مصنفي السنة من مختلف الحديث وموقف الفقهاء من متعارض فتاوي الصحابة والتابعين موقفا يستدعي إدخال عناصر جديدة من المعارف المتصلة بتوضيح البحث ثم إدخال عنصر شخصي من النقد والتقدير .

فكانت أهم العناصر المرجوع إليها بالإضافة إلى عنصر الروايات الواردة، عنصرين يتصلان مباشرة باللفظ القرآني هما: عنصر القراءة وعنصر الإعراب.

أما القراءة: فهي عبارة عن الصورة التي جاء عليها ضبط مفرد من ألفاظ القرآن بحسب ما سمع منه ونقل بالتواتر مما يرجع إلى تحقيق ذات الحرف، أو ما يرجع إلي شكل النطق به، أو ما يرجع إلي حركته[٤].

فما يرجع إلى تحقيق ذات الحرف هو أمر مستند إلى رواية القرآن كما تلاه النبي صلي الله عليه وسلم علي رءوس الأشهاد، وما يرجع إلى شكل النطق بالحرف راجع إلى اختلاف طرق النطق بحسب اختلاف اللهجات مثل الاختلاف بين الإمالة والفتح وبين قطع الهمزة وتسهيلها وبين الإظهار والإدغام والاختلاف بين ضم الميم في ضمير الجماعة للمخاطبين والغائبين وإسكانها مثل عليهم وعليهمو، وذلك كله راجع إلى الجواز الأصلي في نطق تلك الحروف تبعاً لاختلاف اللهجات. وأما الصورة الثالثة وهي اختلاف حركة الحرف فإن منها ما يرجع إلى غير آخر الكلمة مثل: القدس والقدس (بضم الدال وإسكانها) ومثل يحسبون ويحسبون (بفتح السين وكسرها)، ومنها ما يرجع إلى آخر الكلمة، والاختلاف فيه راجع إلى الاختلاف في إعراب التركيب بناء على تقدير موقع اللفظ مثل الاختلاف في قوله تعالي: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٥] بنصب كلمات ورفعها[٦].

وبهذا يظهر أن لعنصر القراءات في بعض نواحيه اتصالا قويا بالتفسير لاسيما ما يرجع إلى اختلاف حركة الإعراب بناء على ما بين الإعراب والمعنى من ارتباط الفرع بالأصل.

وأما العنصر الآخر وهو عنصر الإعراب، فإن التراكيب القرآنية لما كانت عربية، كان فهم معانيها وتحصيل فوائدها متوقفا على استيعاب المعنى الذي تفيده الألفاظ بالتركيب تبعا لقانون تأليف الجملة العربية، ولما كانت السلائق صافية والأمة بعيدة عن الاختلاط وملكتها اللغوية متينة

فلم تكن هناك قواعد مقررة ولا قوانين مدونة؛ لأن الملكات والسلائق مغنية عنها. فلمّا تحضرت الأمصار وتفننت الحضارة، تغيرت الملكات وقصرت السلائق ودخلت اللغة في دور الملكة الصناعية التي تستفاد بالتعليم وتستند إلى القوانين والقواعد، منذ ظهر علم النحو بالبصرة منتصف القرن الأول، إلى أن ازدهر بالبصرة أيضا ووضعت فيه هناك التآليف، أول عصر التدوين، في أوائل القرن الثاني، فكان النحو في وضعه المفنن المقعد مادة ضرورية للتفسير يعتمد عليه في تحليل التراكيب القرآني وبيان موقع المفردات بعضها من بعض وما استقر فيها من روابط الإعراب.

فلجأ المفسرون في القرن الثاني إلى آثار البصريين الأولين من عيسى بن عمر وخليل بن أحمد ويونس بن حبيب [٧] واستفادوا منها ما مهد لهم طريق الإعراب عن أوجه التراكيب ومكن لهم من ضبط مواقع الألفاظ بقوانين الإعراب ليدققوا المعنى المستفاد من خلال التركيب وموقع مفرداته .

فكان ذلك عنصرا ثانيا أدخلوه على ما انتهى إليهم من أخبار التفسير بالمأثور التي دونت في القرن الأول وذلك هو الذي قوي من سواعدهم ليقتلعوا شيئا كثيرا مما علق بالتفسير بالمأثور من آثار الأخبار الواهية .

وإنه لما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن الذين يشيرون إلى هذه الطريقة وخصائصها من الكاتبين في تاريخ التفسير يبادرون إلى ضرب المثل بتفسير محمد بن جرير الطبري، فيقطعون بذلك سلسلة التطور في الأوضاع التفسيرية بين القرن الأول والقرن الثالث بإضاعة الحلقة من تلك السلسلة التي تمثل منهج التفسير في القرن الثاني، لأن تفسير ابن جرير ألف في أواخر القرن الثالث وصاحبه توفي في أوائل القرن الرابع، والحال أن الحلقة التي يتم بها اتصال السلسلة وضاعت عن الكاتبين هي حلقة أفريقية تونسية، بالوقوف عليها يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مدينا له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم.

إنما نعني بهذا تفسيرا جليلا من صميم آثار القرن الثاني، وهو تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الأفريقي المتوفى سنة ٢٠٠ هـ [٨].

فمن ابن سلام هذا ؟ وما قيمة تفسيره في التراث التفسيري؟ هذا ما نبينه فيما يلي:

يحيى بن سلام

قال الذهبي: "يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة الإمام العلامة أبو زكريا البصري نزيل المغرب بإفريقية. حدث عن سعيد بن أبي عروبة وفطر بن خليفة وشعبة والمسعودي والثوري ومالك، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري وجمع وصنف. روى عنه ابن وهب وهو من طبقته، وولده محمد بن يحيى، وأحمد بن موسى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وبحر بن نصر، وآخرون"[٩].

وقال أبو عمرو الداني: "روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري وغيره، وله اختيار في القراءة عن طريق الآثار، روى عن حماد بن سلمة، وهمام بن يحيى، وسعيد بن أبي عروبة، ويقال إنه أدرك من التابعين نحوا من عشرين رجلا وسمع منهم وروى عنهم. نزل المغرب وسكن أفريقية دهرا وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله وكتابه الجامع وكان ثقة ثبتا ذا علم بالكتاب والسنة ومعرفة اللغة والعربية، وسمع منه بمصر عبد الله بن وهب ومثله من الأئمة، توفي في صفر سنة مائتين" [١٠].

وقال أبو حاتم: "صدوق" [١١]. وذكره ابن حبان في الثقات[١٢].

وأخيرا انتقل إلى القيروان بإفريقيا وعاش فيها حوالي ٢٠ سنة وبها ألقى تفسيره، ومات عند عودته من الحج ودفن في مصر (في مدينة القاهرة)، قال أبو العرب في طبقات القيروان:" كان مفسرا وكان له قدر ومصنفات كثيرة في فنون العلم وكان من الحفاظ ومن خيار خلق الله"[١٣].

تفسير يحيى بن سلام

قال محمد الفاضل ابن عاشور: "تفسير يحيى بن سلام يقع في ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة ... وتوجد من هذا التفسير ببلادنا التونسية نسخة عظيمة القدر موزعة الأجزاء نسخت منذ ألف عام تقريبا، منها مجلد يشتمل على سبعة أجزاء بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الأعظم، وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان،

ومن مجموعها يتكون نحو الثلثين من جملة الكتاب ويوجد جزء آخر لعله يتمم بعض نقص النسخة من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل"[١٤].

ولعل فذاذة هذه النسخة التونسية هو الذي يعتذر به للذين أهملوا شأن ابن سلام في مراحل التفسير وإن كان التعريف بها حاصلا منذ أكثر من خمسين سنة في الجزء الأول من الفهرس التفصيلي للمكتبة العبدلية .

وقال أبو عبد الله الكتاني: " نشر ستة أجزاء منه في الجزائر بتحقيق عدة باحثين، وحققته كاملا الدكتوره هند شلبي و لم ينشر بعد، وطبع في دارالكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ من سورة النحل إلى سورة الصافات في مجلدين"[١٥].

وقد نص ابن الجزري على أن هذا الكتاب سمع من مؤلفه بإفريقية وشهد بأنه كتاب ليس لأحد من المتقدمين مثله، وهذا ينطق بسبقه إلى طريقة، وابتكاره منهجا. وقد تلقى هذا التفسير عن مؤلفه فقيه أفريقي هو أبو داود العطار المتوفي سنة ٢٤٤هـ [١٦].

أسلوب ابن سلام في تفسيره

أسلوبه في تفسيره متمثل في النقاط التالية :

١- أخذ يحيى بن سلام عن علماء البصرة نحاتها ولغوييها ومفسريها، لذا ورد في كتابه المسائل الإعرابية، وهو بذلك يعد من أوائل من أدخلوا الإعراب في التفسير الشامل للقرآن.

٢ - إعتمد الإسناد في روايته عن المفسرين، وقد يورد بعض الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلي الله عليه وسلم. فمثلا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[١٧] يروي حديثين مرفوعين بسنده: أحدهما: يحيى عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي عن القاسم مولى عبد الرحمن عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه أصاب العدو أو أخطأ فهو كعتق رقبة". ثانيهما: يحيى عن المعلى عن عمرو بن عبد الله عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من ارتبط فرسا في سبيل الله فهو كالباسط يده بالصدقة[١٨].

٣- روى عن الحسن(ت: ١١٠)، وقتادة(ت: ١١٧) فأكثر عنهما، وروى عن مجاهد(ت: ١٠٤)، وعكرمة(ت: ١٠٥)، والكلبي(ت : ١٤٦) وغيرهم.

٤- إعتنى بالقراءات فأوردها وأورد توجيهها. فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [١٩] قال: "وما هو علي الغيب: الوحي بضنين: ببخيل يبخل عليكم به، وبعضهم يقرأ: بظنين أي بمتهم"[٢٠].

٥- بعد إيراد الأخبار ذكر حكمه الاختياري مفتتحا بقوله: "قال يحيى" ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي ويتدرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشي وإياه، مشيرا إلي اختياراته في القراءة بما يقتضي أن له رواية أو طريقا لايبعد أن تكون راجعة إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري لأن يحيى بن سلام بصري النشأة [٢١].

مثال تصديره تعليقه بقوله: "قال يحيى " قوله تعالي: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢٢].

قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ تفسير قتادة قال: منعت البيوت زمانا كان الرجل لا يتضيف أحدا ولا يأكل في بيت غيره تأثما من ذلك. قال يحيى: بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[٢٣]. قال قتادة: فكان أول من رخص الله له الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص لعامة المؤمنين﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾.

فقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ قال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت مواليهم. وقوله: ﴿صَدِيقِكُمْ﴾ قيل للحسن: الرجل يدخل على الرجل يعني صديقه فيخرج الرجل من بيته ويرى الأخر الشيء من الطعام في البيت فيأكل منه فقال: كل من طعام

أخيك. قال يحيى: لم يذكر الله في هذه الأية بيت الابن فرأيت أن النبي عليه السلام إنما قال أنت ومالك لأبيك [٢٤] من هذه الأية[٢٥].

وليحيى بن سلام في تفسيره اختيارات ذكرها كثير من المفسرين كالماوردي والثعلبي والقرطبي وابن الجوزي وأبي حيان وابن عادل الحنبلي وابن عطية والثعالبي والخطيب الشربيني وأبي المظفر السمعاني. وقد أكثر النقل عنه الماوردي والقرطبي وابن الجوزي رحمهم الله.

مختصرات تفسير يحيى بن سلام

هذه المكانة دفعت العلماء إلى الاشتغال به وتدريسه واختصاره. فاختصره: هود بن محكم الهواري قاضي الإباضية في قبيلة هوارة البربرية في الجزائر(المتوفي ٣٨٠هـ). وقد حقق تفسير الهواري الباحث الجزائري الحاج بن سعيد شريفي، ونشرته له دار الغرب – بيروت – لبنان سنة ١٤١٠ هـ في أربع مجلدات.

كما اختصره أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله الأندلسي المري الألبيري، نزيل قرطبة المالكي المعروف بابن أبي زمنين(المتوفي ٣٩٩ هـ) [٢٦]، طبع محققا عام ١٤٢٣ هـ بعنوان: تفسير القرآن العزيز في دار الفاروق الحديثة – القاهرة-.

أما اختصار هود بن محكم:

١- فإنه لم يذكر استفادته من تفسير يحيى بن سلام مع أنه اعتمده مع ما أضاف إليه كما أشار إلى ذلك محقق الكتاب.

٢- قال محقق الكتاب: " ...فالملاحظ أنه يحذف الأحاديث التي لم تصح عنده والتي لا تتفق مع أصول مذهبه، لقد حذف أحاديث في تفسير قوله تعالى من سورة مريم ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٢٧] وهي أحاديث في الشفاعة. وحذف أحاديث متتابعة في تفسير قوله تعالى من أوائل سورة الحجر﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٢٨]، وهي أحاديث حول من سموا بالجهنميين، أو بعتقاء الرحمن، لم تصح عنده كذلك"[٢٩].

٣- حذف الإسناد، واختصر كثيرا من الآثار، وقد عدها محقق الكتاب من عيوب تفسير هود بن محكم .

٤- يذكر كلام يحيى بقوله: " قال بعضهم "، وقد يذكر هذه العبارة عن غيره.

٥- أدخل بعض آراء الإباضية من فقه واعتقاد في مختصره هذا، وقد تتبعه المحقق، وبين مواطن ذلك. قال المحقق: " إذا وردت كلمة (أصحابنا) من الشيخ الهواري فإنما يقصد بها علماء الإباضية، وسيذكرهم بأسمائهم عند تفسير بعض آيات الأحكام خاصة يذكر جابر بن زيد، وأبا عبيد مسلم بن أبي كريمة، ويزيد أحيانا: " والعامة من فقهائنا"[٣٠].

٦- ومن أمثلة ما يغيره من تفسير ابن سلام ليوافق مذهبه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[٣١]، فقد ورد تفسير يحيى له، فقال: " لا تشركوا " [٣٢]. وورد في تفسير هود بن محكم : " قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالعمل بالمعصية "[٣٣].

وهذا نموذج من عمله في كامل الكتاب، فما جاء في تفسير ابن سلام موافقا لأصول الإباضية أثبته، وما خالفها حذفه وأثبت مكانه ما وافق رأي الإباضية في مسألة الإيمان والكفر، وفي مسائل أخرى من مسائل الخلاف.

وأما اختصار ابن أبي زمنين:

١- فتفسيره من التفاسير المتوسطة وهو تهذيب لتفسير يحيى بن سلام وقد ذكر سبب اختصاره في بداية تفسيره أنه وجد فيه تكرارا كثيرا، وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير بدونها حتى طال الكتاب بذلك بحيث لا يتناسب وقلة نشاط أكثر الطالبين[٣٤].

أما بالنسبة لمنهجه في كتابه فقد حدد في خطبة الكتاب ما عمله في التفسير وهو:

١- أنه زاد على اختصار تفسير يحيى بن سلام أشياء أخر في الإعراب واللغة على طريقة الفقهاء في تحليل الكلمة وتحديد المراد منها ، كما فسر كثيرا مما لم يفسر[٣٥].

٢- وقد ميز ابن أبي زمنين زياداته على تفسير يحيى بن سلام بقوله في أولها: (قال محمد). أما تفسير يحيى بن سلام فمذكور كذلك في أوله إما: (قال يحيى) أو (يحيى).

٣- وكان من منهجه أيضا أنه لا يفسر القرآن كلمة كلمة أو آية آية، بل يقف عندما يراه جديرا بالتفسير والبيان.

٤- ومن طريقته في التناول أننا نجده أحيانا يحدد النص الذي سيتناوله بداية ونهاية، ثم يعود إليه فيقف عند كلمات منه ويعرض عند الضرورة لحكاية أوجه الإعراب، وهو يعتني بإيراد القراءات فيما يحتاج إلى ذلك لا يقصد إلى القراءات بذاتها بل لبيان استعمالات أوجه الكلمة من ذلك فعلا، ويتدخل أحيانا لتوجيه استعمال الكلمة في القراءة، ويتدخل أحيانا لبيان استعمال أصل الكلمة. من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[٣٦]، قال: "وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ" لا تعرض بوجهك عنهم استكبارا. قال محمد : ومن قرأ (تصعر) فعلى وجه المبالغة، وأصل الكلمة من قولهم: أصاب البعير صعر إذا أصابه داء فلوي منه عنقه[٣٧].

ومن أمثلة الإعراب قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾[٣٨]، قال محمد: من قرأ " جواب " بالنصب جعل ﴿أَنْ قَالُوا﴾ اسم كان[٣٩].

وممن نص على بعض من أفاد منه في اللغة والنحو أبو عبيدة والزجاج[٤٠].

٥- اعتمد على أبي عبيد في توجيه القراءة :

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾[٤١]، قال: " قال محمد: ذكر أبو عبيد أن من القراء من قرأ (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ)خفيفة؛ لأنهم كانوا يدعون بالعذاب في قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[٤٢]، قال: "وقرأ أكثرهم (تدعون) بالتشديد، وقال: هي القراءة عندنا، والتشديد مأخوذ من التخفيف، (تدعون) تفعلون، و(تدعون) تفتعلون مشتقة منه"[٤٣].

مميزات هذا التفسير

١- قدم هذا التفسير، واعتماده علي تفسير متقدم يعني بآثار السلف، وتفسير يحيى بن سلام البصري.

٢- كون مؤلفه من أهل السنة والجماعة. ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٤٤]، قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ اختبرنا ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ بما أظهروا من الإيمان، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم علي الكفر وهم المنافقون، وهذا علم الفعال، قال محمد: معنى علم الفعال: العلم الذي تقوم به الحجة، وعليه يكون الجزاء، وقد علم الله الصادق من الكاذب قبل خلقهما[٤٥].

٣- سلاسة عبارته و وضوحها.

٤- ما فيه من الإيجاز والاختصار والبعد عن التفصيلات والخلافات .

٥- ما ضمه الكتاب من جملة من النكات والإشارات اللغوية، والنحوية، ولطائف التفسير.

هذا العرض السريع يدل على قيمة تفسير يحيى بن سلام حيث تلقاه العلماء بالقبول والاهتمام به والاستفادة منه في شتى مجالات التفسير وجعله البعض منهم أساسا لتفاسيرهم.

الهوامش

١- المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، تهذيب الكمال: ٣٣٨/١٨ ، مؤسسة الرسالة – بيروت

١٤٠٠هـ. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٢٥/٦ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان: ١٦٣/٣ ، دار صادر- بيروت.

٢- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبري: ٤٩١/٥ دار صادر بيروت. العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٣٥٧/٦ تهذيب الكمال: ٣٣٨/١٨.

٣- أنظر: المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الأنوار الكاشفة: ص: ٨٧.

٤- أنظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ص: ٦ دار النشر/دار الكتب العلمية – لبنان ١٤١٩هـ الأولي. القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص: ٤.

٥- البقرة: ٣٧.

٦- أنظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١٦٩/١ وما بعدها، مطبعة عيسى

البابي الحلبي وشركاءه، الثالثة.

٧- أنظر: المقرئ، أبو طاهر المقرئ، أخبار النحويين: ٤/١. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة

في تراجم أئمة النحو واللغة: ٥١/١ دار النشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت ١٤٠٧.

٨- انظر: ابن عاشور، محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله: ص: ٢٤ وما بعدها.

٩- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٩٦/٩ ، ٣٩٧.

١٠- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري، غاية النهاية في طبقات

القراء: ٤٤١/١.

١١- الحنظلي الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل: ١٥٥/٩ ، دار إحياء
التراث العربي بيروت.

١٢- أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد الثقات: ٢٦١/٩ ، دار الفكر – بيروت ١٣٩٥ ه.

١٣- أنظر: العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٢٥٩/٦، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٦ هـ. الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام: ١٤٨/٨، دار العلم
للملايين – بيروت.

١٤- ابن عاشور، التفسير ورجاله (بتصرف يسير) ص: ٢٥.

١٥- الكتاني المغربي، أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني المغربي، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ٤٩/٥. انظر كذلك : الزركلي، الأعلام: ١٤٨/٨.

١٦- أنظر: الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء: ٤٤١/١، أنظر كذلك: الحميدي، الحافظ الحميدي، جذوة
المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ١٣٨/١، نشر الثقافة الإسلامية – القاهرة ١٣٧١هـ.

١٧- الأنفال: ٦٠.

١٨- المري، أبو عبد الله بن أبي زمنين المري، تفسيرابن أبي زمنين: ٢٣٦/١ (مختصر تفسير يحيى بن سلام).

١٩- التكوير: ٢٤.

٢٠- المري، تفسير ابن أبي زمنين: ٣٠٤/٢.

٢١- ابن عاشور، التفسير ورجاله: ص ٢٥.

٢٢- النور: ٦١.

٢٣- النساء: ٢٩.

٢٤- سنن ابن ماجه ٧١/٧، سنن البيهقي الكبري ٤٨٠/٧، صحيح ابن حبان ١٤٢/٢، مسند أحمد ١٤٦/١٤.

٢٥- المري، تفسير ابن أبي زمنين: ٤٧٣/١.

٢٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٨٧/١٧، ١٨٨. الأدنروي، أحمد بن محمد الأدنروي، طبقات المفسرين: ص

٩٣، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ١٩٩٧.

٢٧- مريم: ٨٧.

٢٨- الحجر: ٢.

٢٩- شريفي، الحاج بن سعيد شريفي، مقدمة الحاج بن سعيد شريفي محقق تفسير هود بن محكم: ٣٧/١.

٣٠- المرجع السابق: ٨١/١.

٣١- البقرة: ١١.

٣٢- المري، تفسير ابن أبي زمنين: ٣/١.

٣٣- ابن محكم، هود بن محكم، تفسير هود بن محكم: ٨٤/١.

٣٤- مقدمة تفسير ابن أبي زمنين: ١/١.

٣٥- المرجع السابق: ١/١.

٣٦- لقمان: ١٨.

٣٧- المري، تفسير ابن ابي زمنين: ٣٥/٢.

٣٨- العنكبوت: ٢٤.

٣٩- المري، تفسير ابن ابي زمنين: ٢٠/٢.

٤٠- المرجع السابق: ١٦/٢ ، ٣٠.

٤١- الملك: ٢٧.

٤٢- الأنفال: ٣٢.

٤٣- المري، تفسير ابن ابي زمنين: ٢٦٢/٢.

٤٤- العنكبوت: ٣.

٤٥- المري، تفسير ابن ابي زمنين: ١٨/٢.